لماذا يكره الإنسان الموت والحياة ملأى بالهموم والمتاعب والأمراض؟؟؟

. . . هكذا خلق اللَّه سبحانه الإنسان يكره الموت وأقل مراتب الكراهية أنه لا يفضله على الحياة. . وفي معنى كراهية الموت يقول تعالى في الحديث القدسي:

عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ فيما يرويه عن ربه:

«وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاة المؤمن لأنه يكره الموت وأكره مساءته».

[أخرجه أحمد والحكيم والطبراني وأبو نعيم]

. . . ولكي يعمر الكون ويزخر بالحياة فقد غرس اللَّه سبحانه في الإنسان حب الحياة والتمسك بها. . وجعل اللَّه سبحانه من حكمته بين يدي الإنسان ما استخلفه فيه وملَّكه إياه في الدنيا من الرزق والولد، ليزداد تمسكاً بالحياة ويعمل فيها ويسعى في جنباتها استكمالاً لرزقه وسعياً من أجل ولده، وقد جعل اللَّه سبحانه هذا السعي قهراً على الإنسان، بحثاً عن طعامه وتأمين مأوىً له يقيه حر الصيف وبرد الشتاء، ويسعى على جسده من أن يصيبه أذىً أو علة أو مرض. . وفوق هذه الغريزة جاءنا التوجيه النبوي الشريف أن نتمسك بالحياة الدنيا ونسعى لها دون يأس أو حزن أو غم.

ـ عن ابن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليفعل**».

[رواه أحمد في مسنده رقم الحديث ١٣٠٤٨]

ومع هذا الدفاع الغريزي عن الحياة التي أوجدها اللَّه سبحانه في الإنسان كانت المعادلة الإلٰهية ليس في قهر الغريزة إنما في تشذيبها وتهذيبها، لتتوسط النفس في تناول الحياة والسعي نحو الآخرة لأنها دار القرار.

فإذا كان اللَّه قد وضع في الإنسان حب الدنيا والمال والولد، فقد أرشده أيضاً إلى أن الباقيات الصالحات خير عند اللَّه وأبقى.

قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.

[سورة الكهف، الآية ٤٦]

أي الطاعة والعبادة والتسبيح وذكر اللَّه، ذلك لأن هذا هو الباقي وأن ما دونه فان.

وقد حققت بعض الآيات الكريمة من القرآن الكريم أعظم معادلة وتوازن للمؤمنين في الحياة الدنيا.

. . . لأن المؤمنين يعلمون حق العلم أنهم إذا عادوا إلى ربهم عادوا إليه راضين مرضيّين مطمئنين بما وعد اللَّه وادَّخره لهم في الآخرة، ولأنَّ في أنفسهم دائماً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾.

[سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠]

فهؤلاء لا يخافون من لقاء اللَّه سبحانه ولا يكرهون لقاءه، فليس مما كسبت أيديهم ما يغضب اللَّه ويوجب عليهم العذاب.

. . . ومفترق الطريق الآخر الذي خسر فيه الإنسان نفسه في الدنيا والآخرة بما كفر وعصى اللَّه سبحانه، واطمأن للحياة الدنيا وفرح بها، فهؤلاء يكرهون الموت كراهية شديدة ويكرهون لقاء اللَّه تعالى كما قال تعالى في الحديث القدسي:

«إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه وإذا كره لقائي كرهت لقاءه».

[رواه البخاري ومالك عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه]

فتخرج نفسه كارهة خائفة مما ينتظرها من غضب اللَّه سبحانه. . وهؤلاء هم الذين نسوا اللَّه فأنساهم أنفسهم، فضلَّت قلوبهم وعقولهم سواء أكانوا كافرين أم مسلمين عصاة فكرهوا لقاء اللَّه سبحانه فكره اللَّه سبحانه لقاءهم بما قدمت أيديهم من مفاسد ومعاصٍ، فخابت نفوسهم لأنهم دسّوها في الآثام والفواحش والكفر باللَّه وآلائه ونعمه.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ فكما أن النفوس الطاهرة تعود إلى بارئها راضية مرضية فكذلك أصحابها لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة بالبشرى لا ينساهم اللَّه من فضله. . كذلك النفوس الفاسدة تعود كارهة نسيهم اللَّه من فضله فلا يذكرهم بخير في الآخرة، وتعود نفوسهم خبيثة دنسة قال تعالى:

﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٤]